جولة شعرية
على أنقاض الأمجاد الإسلامية*

على سفينة الأمل التي كانت تمخر بصاحبها عباب بحر الذكرى.. كانت الرحلة الشعرية إلى بعض البلاد الإسلامية، وكثيراً ما يرحل الشعراء وهم مقيمون، ويعيشون الماضي وهم معاصرون... ويعرفون خفايا الواقع فيتحدثون.

أهو حلمٌ في جفن هذا الوجودِ؟
قد ترنّحت في مداه البعيدِ

ثار في خاطري القريضُ، فعفواً
يا رفاقي، إذا أزلتُ حدودي

وصحبت الخيال أسبح في الما
ضي على متن عزّنا الموعودِ

القاهرة ـ بغداد : ١٧ / ١١ / ١٣٩٧ هـ.

* ألقيت هذه القصيدة في حفل الحج السنوي أمام الملك خالد بن عبدالعزيز عام ١٣٩٧ هـ.

يا حـيـاة رأيتـهـا من كُـوَى التـا
ريخ نشـوى، إني انطلقت فـعـودي

يا خـيـالاً وصلتَني بسنا الأمـجـ
ـاد هـلاّ أزلت عني جـمـودي

هَبْكَ يا قلب قـد تمزّقت حُـزْناً
فلمـاذا وقـفتَ عن تأييـدي؟

حـرِّك العـزم علَّني أصنع الأمـجـ
ـاد، أبني صـروحـهـا من جـديدِ

مُـدَّ لي جـسـر ذكـرياتي لعلِّي
أعـبـر الجـسـر نحـو مـجـدٍ تليـد

وأزرع الورد في طريقي فـإني
أعـشق السـيـر في ظلال الورود

لم تزلْ تنزع الحـــروف بقـــايا

ذكـــريات تهـــزّ ركن وجـــودي

فـــوراءَ الرّمـــال ألفُ حـــديثٍ

عن أبيٍّ مناضلٍ وشـــهـــيـــد

لم تزل تنبش القـــصـــائدُ عنهـــا

خلف باب المفـــاخـــر الموصـــود

قـــد مـــضـــغنا كلَّ الحكايات عنهم

ونظمنا قـــصـــائد التـــمـــجـــيـــد

لو نهـــجنا طريقـــهم وبذلنا

في سـبيل الإسـلام بعضَ الجهـود

لرأينا الزمـــان يركض طَوْعـــاً

وضـــربنا بقـــبـــضـــةٍ من حـــديد

obeikandl.com

ذاك شأنُ الحياة، تخضع مهما
كان إعراضها، لكلٍّ سديد

سافر الشعرُ في عوالم إحسا
سي فرفقاً بالشاعر المهدود

سافر الشعر يا حروفُ أفيقي
واستقرّي كاللؤلؤ المنضودِ

سافر الشعر يا مراكبَ حسّي
هاج شوقي إلى اللقاء فعودي

راحلٌ في مواطني أقتل الرُعـ
ـب وأمضي على الطريق السديد

خاطر الشعر لوعةٌ، وفؤادي
لوعةٌ، والأسى أشدّ القيود

هـزةٌ عـاطفـيّـةٌ لو يشـاء اللـ
ـه لاستجمعت رُفاتَ جدودي

غـرّدي يا قـصـيـدتي فـالمآسي
تتـهـاوى على لسـان النشـيـد

وانقليني إلى صـروح المعـالي
رغم هذا المدى الطويل البـعـيـد

لا تظنّي مـا بيننا من سنيٍّ العـمـ
ـر يقـضي على اللقـاء السـعـيـد

لم أزلْ أنتـشي لشَـدْو ابن زيـ
ـدونَ على سـفح مـجـدنا المفـقـود

لـم تزلْ هـا هـنـا بقـايا زهـورٍ
غُـرِسَتْ حـول راية التـوحـيـد

إيهِ قـصـرَ الحـمـراءِ مـاذا دهاهم؟
أين من زيّنوك بالتـشـيـيـد؟

لم تزلْ في ثراك نكهـة أمـجـا
دٍ أثارتْ صوتَ الرضى في قصيدي

وعلى السـفح طارقُ بن زيادٍ
أريحيّ الخُطا سليل الأسـود

وخُطا جُنْدِهِ أحـاديث نصـرٍ
ولسـان الثّـرى حكايةُ عـيـد

مصرُ يا مصرُ قد تضيع الأماني
فـتـغنَّى برغم كلِّ حـسـود

قـبّليني ففـيك نكهـة عـمـروٍ
وبقـايا من الخـبـاء المجـيـد

وعليه « اليمامتان» تبثّا
ن نشيداً يزيد صَفْوَ السعيد

وهنا الأزهر الشريف ولكن
ضاع صوت الشريف خلف السدود

قبّليني يا مصر قد ركع الشعـ
ـر ، وإنّ الركوعَ رمزُ السجود

مزِّقي صفحة الهوى وأفيقي
ولقد يعصف الهوى بالتليد

أيُّها الشام يا وثيقة عِزٍ
سُجِّلت في دفاتر التأييد

نسيَ القومُ مجدَنا والتآخي
وبطولاتِ خالد بن الوليدِ

نُسِيَتْ أيُّهـا العـزيز وقـامت
في بلادي وسـائلُ التـهـويد

أيُّهـا الشـام قـد أتيـتك مـجـرو
حـاً فـداوِ الجـراحَ واحـمل بريدي

وإذا مـا أتيت مـسـجـدَنا الأقـصـ
ـى وأحـسـست بالظلام العنيـد

ورأيتَ الشُّـمـوعَ مـوبوءة الأضـ
ـواء مطعـونةً برمح الجـحـود

ورأيتَ الأبطال تندى مـآقـيـهم
وتهـفـو نفـوسـهم للقـعـود

فـانتـفض صـارخـاً وبدِّدْ سُـبَـا
تَ القـوم واهتفْ بدعـوَةِ التـوحـيـد

لتـــــرى ذلك النّؤومَ وقـــــد ثا

رَ وأهوى بســـيـــفـــه المعـــهـــود

ذاك طبعُ النفـوس كـالنَّار يَقْـوَى

عـــزم أضـــوائهـــا بفـــعل الوقـــود

غـرِّدي يا عـراقُ، فـالشَّـدْوُ نُعـمى

في صـــداها يذوب كلُّ جـــحـــود

* * *

واحـــمليني على ســـفـــائن أشـــوا

قي إلى دَوْحـةِ اللقـاء السـعـيـدِ

عـــانقي قلبيَ الحـــزينَ فـــإني

رغم حُـــرِّيَّتي أخـــاف قـــيـــودي

واعـــــذريني إذا تـغـــــرّب ذهني

فـــثـــراك النَّديُّ يُذكي شـــرودي

أنا في غُـــربتي أكـــبِّـــر للمـــا
ضي وأحـــدو قـــوافلَ التـــأييـــد

وأرى ها هنا مـــعـــالمَ مـــجـــدٍ
عـــبـــقـــريٌ وصـــورة للرشـــيـــد

حين كـــان الوئامُ صـــورةَ أوطا
ني وكـــان الضـــلالُ رهنَ الرُّكـــود

ولـبـــغـــدادَ عـــزّةٌ وإباءٌ
في ظلال الهـــدى، ظلال الخلود

سامحيني، بغدادُ، قد سئم الشعـ
ـر وشـــاخت وســـائل التـــقليـــد

ســامـحـيني إذا تبـعـثـر إحـسـا
سي نشـــيـــداً وهمت بالتَّـــرديدِ

فـأنا شـاعـرٌ أحـبك يا بغـدا
دُ حـبّـاً تضـيق عنه حـدودي

مـثلَ حـبّي لكلِّ قُطرٍ، عليـه
رفـرفت راية الكتـابِ المجـيـد

شـاعـرٌ يُطربُ القلوبَ ولكنْ
كم يُعـاني من قلبـه المشـدودِ

سُنَّةُ الشـعـر أنْ يعـيش ذَوُوه
في شـقـاءٍ يخفُّ بالتـغـريد

إنني يا عـراقُ أنفث إحـسـا
سي وأبدي محـبتي، أو صـدودي

هو طبـعي، فـإن قلبي نقيٌّ
لا يُـرائـي، وذاك طـبـع الـوَدود

ربّمـــا يُوصِلُ النفـــاقُ لمن ير
ضى طريقَ النفـاقِ للمـقـصـود

وليكُنْ ذاك إنهـــا لمعـــةُ البـــر
قِ ومن بعـــدها هديرُ الرعـــود

منطق الحقِّ خـيـر مـا يذكـر الـ
ـشهم فسحقاً لمنطق التمجيد

حكمـــة الله أنْ يظلَّ رفـيعُ النف
ـس وَخْـزًا في قلب كلّ حـســود

★ ★ ★

أمـــتي كـــيف تطلبين وفـــاءً؟
من غـريقٍ في غـدره بالعـهـود

ها هنا مـوعـدٌ لإصـلاح شـأني
وهـنـا نـظـرةٌ إلـى تـبـــديدي

وإذا أهـدرتْ كـــــــريمـةُ أصـل

أصلَهـا، لـم يَعُـدْ بلطم الخـدود

أمـــتي لـم يزلْ يحـــرِّك عـــزمي

أملٌ فـي طـريـقـك المـنشـــــود

فـشـــراك الطُّهـورُ يا أمَّـــة الإسـ

ـلام كم فـيـه من رُفـاتِ شـهـيـد

أمـــتي ثارت الجـــراحُ فـــثـــوري

وأفـــيـــقي على زوال اليـــهـــود